نقطة نور

آية السيف

فى شجاعة بالغة يتصدى الشيخ القرضاوى فى سفره «فقه الجهاد» لموروث خاطئ فى التفسير، اعتبر عشرات الآيات القرآنية التى تحض على السماحة، وتدعو للتعامل مع المخالفين لشرع الله بالتى هى أحسن. وتؤثر أن تكون الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتعطى للإنسان حريته فى أن يؤمن أو لا يؤمن لأنه المسئول عن قدره، وتطالب المسلمين بالدخول فى السلم كافة، ولا تبرر القتال إلا إذا كان ردا لعدوان.

اعتبر هؤلاء المفسرون القدامى هذه الآيات البينات منسوخة حكمها، تبقى فى القرآن مجرد تلاوة، لكن تنعدم فاعليتها ويبطل الحكم بها بعد نزول «آية السيف» التى اختلف هؤلاء الشراح القدامى على رسمها ومكانها، وإن كان أغلبهم يحددها فى الآية الخامسة من سورة التوبة، التى تدعو إلى قتل المشركين حيثما وجدوا إذا انتهت الأشهر الحرم، بدعوى أن آية السيف نسخت هذه الآيات وأسقطت عنها حكمها الإلهى، وعلى المسلم أن يشرع سيفه أبدا فى وجه العالم، يبادر بالحرب والعدوان، ويقطع عهود الأمان التى أعطاها الله لأهل الذمة واعتبرها مواثيق أبدية لايجوز خرقها، ويرفض جنوح المشركين إلى السلم، ويقاتلهم حتى إن اعتزلوا المسلمين !

يرفض الشيخ القرضاوى منطق هؤلاء، ويتصدى لهذه التفسيرات الخاطئة التى استغلتها جماعات الإرهاب لتبرر جرائمها ضد المدنيين والأبرياء والسياح داخل الذمة، تحت دعاوى الجهاد، ليس من خلال خطاب دعائى، ولكنه يبحث القضية من جذورها بحثا عميقا حرا هادئا، ليقودنا إلى فهم جديد لقضية الناسخ والمنسوخ فى القرآن، لأن الرسول الكريم المكلف من ربه ببيان القرآن لم يصدر عنه طوال ثلاثة وعشرين عاما ما يفيد أن آية واحدة من آيات القرآن قد نسخت آية أخرى، كما أنه لا توجد آية قيل بنسخها اتفق جميع العلماء بيقين على أنها منسوخة، والأكثر قبولا للعقل، أن الله تعالى لم ينزل كتابه إلا ليهتدى بهداه الناس، ويؤتمرون بما جاء فيه من أوامر، ويتم العمل بأحكامه جميعا، لا ناسخ ولا منسوخ، لأنه لا توجد آية واحدة فى القرآن قطع العلماء بنسخها، ولهذا يبقى الأمر كله فى نطاق الظن، والظن لا يغنى عن الحق شيئا، وعلى الإنسان أن يدفع ظنونه بحسن استخدام عقله فى القياس والمقارنة والتزام مقاصد العباد□

مكرم محمد أحمد

mmahasabo@yahoo.com